دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أكتوبر ٢٠٢٠

.

إنتفاضة تكفار ينـاس

إعداد

مصطفي محمود عبدالحميد محمد

الإيميل:abo.shams25@gmail.com

ملخص

ولعل المغزى الحقيقي وراء انتفاضة **تكفاريناس** هو انخراطه في العسكرية الرومانية؛ وحسن استغلالها وتوظيفها في تكوين جيشه وتدريبه على غرار الجيش الروماني، مع الدمج بين الأساليب النوميدية مثل **الكر والفر وحرب العصابات** لملائمتها لطبيعة البلاد، فضلا عن اتباع سياسة الدبلوماسية في كسب حلفاء من القبائل المجاورة للمزالمة حتي لا يطبق عليه العدو فم الكماشة ويتم تطويقهم، فكسب دعم **مازيبا** والقبائل **الموربة** من جهة الغرب؛ وقبائل **الكينيتين** من جهة الشرق بالإضافة إلي قبائل المناطق الصحراوية جنوب الولايات **الموريتانية**، الأمر الذي أجبر الرومان على خوض معركة واسعة المجال وتفريق القوات على عدة جبهات من جنوب **موريتانيا القيصرية** غربا إلي سرت شرقا، الذي أضعف بدوره شوكة الرومان، ولكنهم في النهاية تمكنوا منه بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في القضاء على انتفاضته.

Abstract

The real purpose behind **Tacfarinas** uprise was his accession to the Roman military system. He made full use of this in mobilizing and training his army to look like the Roman one. He tended to mix between **Numidian** styles such as Hit-and-Run attacks and guerrilla warfare being appropriate to the land topography. Moreover, he adopted the diplomatic policy path in seeking allies from the neighbouring Musulamii tribes, not to be surrounded by enemies. He gained support of Mazepa and Moors tribes Westward and Keneten tribes Eastward, as well as the tribes of the desert in the southern Mauritanian states. Consequently, the Romans were forced to wage wide-range battles, their troops were scattered in many frontlines extending from the southern Caesarean Mouritania Westward to Sirt Eastward. This led to Weakening the Romans' power , however, they finally managed to conquer him after losing gross loses to depress his uprise.

انتفاضة تكفاريناس (١٧ - ٢٤ م)

تكفاريناس: ولد حوالي عام ٨ق.م؛ وينتمي إلي **قبائل الموزيلامي**(١) المستقرة على الأوراس تدرج في صفوف **الجيش الروماني**(٢) منذ صغره؛ وتدرب خلال السنوات التي قضاها في الجيش الروماني على فنون القتال المختلفة وأساليب الحرب الخاصة بالرومان كجندي روماني، واكتسب خلال هذه الفترة الخبرة العسكرية.(٣)

لم يستمر طويلا في الجيش الروماني؛ فسرعان ما انسحب من صفوف الرومان في ظروف غامضة عندما استشعر القوة وامتلاك الخبرة العسكرية لمقاومة الرومان.(٤)

ولعل المغزى الحقيقي وراء قوة **تكفاريناس** هو انخراطه في العسكرية الرومانية؛ وحسن استغلالها وتوظيفها في تكوين جيشه وتدريبه على غرار الجيش

---

(١) **قبائل الموزيلامي:** من أكبر القبائل المغربية والرافضة للرومان، منذ أن وطئ الرومان أرض أفريقيا، وساعدت كل من **سيفاكس ويوغرطة** وتحالفت مع **الجرامنت والجيتوليون ضد يوبا الثاني** ثم كانت خير سند وعون **لتكفاريناس**، استقرت هذه القبائل في منطقة **الأوراس** ويحدها شمالا مدينة **سيرتا** وجنوبا قبائل **الجيتول والجرامنت** وشرقا **تبسة** وغربا منطقة **حضنة**، وتستقر في **مدينة كتيفيست ومادوروش.** انظر

Gsell, s.: inscriptions Latines de l' Algérie, inscriptions de la Proconsulaire, Paris, 1922, P. 267. & Mercier, E.: Histoire de l'Afrique septentrionale (berbère) depuis les temps les plus reculés Jusqu'à la conquête Française, 1830, vol. 3, Paris, P. 81.

(٢) **الجيش الروماني:** هو جيش منظم متطور متمرس على المعارك منذ العصر الملكي، لا يقبل في صفوفه سوى المواطنين الرومان، فكان التجنيد مقصور على المتمتعين بحق المواطنة الرومانية فقط ويبدأ سن التجنيد من ١٧عام وحتي سن الستين ويقسم المجندون إلي فئتين حسب أعمارهم، فالفئة الأولي تشمل من هم في سن السابعة عشر إلي سن ستة وأربعين وتمثل هذه الفئة القوة الضاربة في الجيش الروماني والمسئولة عن الهجوم والاحتلال والتوسع وخوض المعارك داخل وخارج روما، والفئة الثانية فتشمل الفئة العمرية من سن ستة وأربعون إلي سن الستون، وعملت على السهر في حفظ الأمن داخل روما.

يقسم الجيش الروماني إلي عشرة فرق من الفرسان الذين يمتازون بسرعة الحركة والمهارة؛ وكل فرقة تضم ثلاثون فارس، وعند خوضه للمعارك يقسم إلي ثلاث صفوف متوازية:

الصف الأول: المقابل للخصم ويتكون من الجنود الأصغر سنا والأقل خبرة.

الصف الثاني: يضم الجنود الكهول والمتوسطي الخبرة.

الصف الثالث: يضم الجنود الأكبر سنا، ويتولى مهمة حماية ظهر الجيش وأطرافه.

أحدث أغسطس مجموعة من الإصلاحات به للارتقاء بمستواه مثل تعزيز الفرق المساعدة، وتحديد فترة التجنيد بعشرون سنة للجند الروماني الأصل وخمسة وعشرون للمجند الغير ذلك. انظر

Fredouille, J. C.: Dictionnaire de la civilisation romaine, Paris, 1999, P. 71.

(3) Benabou, M.: Tacfarinas, insurgé Berbère contre la contre la colonisation romaine, Paris, 1977, Pp. 293 – 313.

(٤) أرنست ماسون: الإمبراطور الرهيب تيبريوس، ترجمة: جمال السيد، القاهرة، ١٩٨٥، ص٩٢.

الروماني، مع الدمج بين الأساليب النوميدية مثل **الكر والفر وحرب العصابات** لملائمتها لطبيعة البلاد(١)، فضلا عن اتباع سياسة الدبلوماسية في كسب حلفاء من القبائل المجاورة للمزالمة حتي لا يطبق عليه العدو فم الكماشة ويتم تطويقهم، فكسب دعم مازيبا والقبائل **المورية** من جهة الغرب وقبائل **الكينيتين** من جهة الشرق بالإضافة إلي قبائل المناطق الصحراوية جنوب الولايات **الموريتانية**، الأمر الذي أجبر الرومان على خوض معركة واسعة المجال وتفريق القوات على عدة جبهات من جنوب **موريتانيا القيصرية** غربا إلي سرت شرقا، الذي أضعف بدوره شوكة الرومان.(٢)

وسرعان ما سعي **تكفاريناس** لتحقيق هدفه فبدأ يجمع حوله العديد من أفراد قبيلته؛ ونشط على تدريبهم باستعمال السلاح وأساليب القتال الرومانية، وانضمت إليهم القبائل النوميدية؛ وعرض على الإمبراطور تيبريوس شروط السلم؛ ودعم رجاله بشباب من قبائل المور بقيادة **مازيبا**، فيعتبر خلف لسلفه الملك المقاوم **يوغرطة**.(٣)

ـ أسباب الانتفاضة.

وهنا لابد من طرح مجموعة من التساؤلات حول هذه الانتفاضة والإجابة عليها وهي:

١ـ ماهي الأسباب التي دفعت **تكفاريناس** للفرار من الجيش الروماني؟

١-ما هي دوافع **تكفاريناس** للثورة والتحالف مع القبائل الأفريقية ضد الرومان؟

تأتي الإجابة عن **التساؤل الأول** متمثلة في الاحتكاك المباشر بين تكفاريناس والرومان عندما كان مجند في الجيش الروماني، فتمكن عن قرب من معرفة فكر وشخصية الرومان المتعجرفين، وهذا الفكر الذي عكس انعكس في التعامل مع سكان المغرب القديم.

(1) Desages, J. : le triomphe de Cornelius Balbus, Paris, 1957, Pp. 3–43.
(2) Benabou, M. : La résistance Africaine à la romanisation, éd. Maspero, Paris, 1975, P. 78.
(3) Hamdoune, CH.: les Auxillia, Ex terna, Africains des Armées Romaine, France, 1999, P. 112.

أما إجابة **التساؤل الثاني** فهي عدة دوافع سياسة واقتصادية وعسكرية، فتكمن **الأسباب السياسة** في إجراءات الرومان بدمج ولايات أفريقيا القديمة والجديدة في ولاية واحدة تسمي الولاية البروقنصلية، وما تلي ذلك من محاولات الاستيطان الروماني.(١)

وتأتي **الأسباب العسكرية** في سعى الرومان الجاد على بسط الهيمنة الرومانية وإنشاء المعسكرات والقواعد والمعاقل الرومانية.

أما عن الأسباب الاقتصادية وهي السبب الحقيقي وراء تحرك **تكفاريناس** والقبائل الموالية له بثورة ضد **تيبريوس**، متمثلة في تعطيل رحلة الصيف لقبائل **الموزيلامي** إلي المراعي لخصبة والمياه الضرورية للحياة لهم ولحيواناتهم، وذلك بشق طريق جديد يربط بين **كاسترا أبيرنا** الواقعة بين مدينتي **تبسة** و**قابس** مرورا **بحيدرة وقفصة** في عام ١٤م.(٢)

سارت سنة الرومان بعدم الاهتمام والإشراف علي تسيير الشئون الداخلية لسكان أفريقيا، بل يكفيهم الحفاظ على الأمن الذي هو في عهدة الوالي المستقر **بأوتيكا**، وجمع الضرائب والإشراف علي استثمار الضيعات الكبرى،(٣) ومواصلة إنشاء مستعمرات رومانية جديدة منها قرطاجة، ومنح ثلاثون مدينة **قانون المدن الحرة**، وتنصيب عدد كبير من المعمرين الروماني في المؤسسات الجديدة، وكل هذه الأعمال على حساب قبائل عديدة دفع بها نحو المناطق الفقيرة الجدباء، وعلى حساب مجموعات بشرية أخري اختل التوازن المعاشي فيه.(٤)

وكل هذه السياسات والإجراءات الرومانية كانت وراء فرار **تكفاريناس** من الجيش الروماني لجريان الدم الحر في عروقه ولم يرض مثل هذه الانتهاكات في بلاده وثار غضبه وأرسل رسالة مع وفد له إلي الإمبراطور **تيبريوس** بلهجة شديدة

(1) Benabou, M.: La résistance Africaine à la romanisation, Op. Cit., P.76.
(2) Piganiol, A.: et Laurent vibert(R.), Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), vol. 32, 1912, Pp. 69 – 79.
(٣) محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٣، ص ٢٦.
(4) Gsell, s.: H. A .A.N., Pp. 229 - 230.

يحذر فيها الإمبراطور من رفضة لطلباته وإعادة الأرض التي سلبها، ويحذره من مغبة تصرفات الرومان وينذره بحرب عشواء وإرسال إليه جند كثير.(١)

ويبدوا أن الدفاع عن الأراضي ومقاومة المحتل ظل هو السمت المتصف به شعوب المنطقة، فبعد موت الإمبراطور **أكتافيوس** انتهت مرحلة السياسة الحذرة واتباع سياسة جديدة هدفها التوسع في أفريقيا، والتي دفعت شعوب المنطقة إلي المقاومة، وظهر شعب **المزالمة** فخاضوا حرب ضد الرومان دامت أكثر من سبعة سنوات (١٧ ــ ٢٤ م) بقيادة **تكفاريناس**، وشاركهم في الغرب قبائل **المور** بقيادة **مازيبا**، وفي الغرب **الكنيفين**)، واتسع نشاط الثائر **تكفاريناس** ولم يقتصر على المناطق الداخلية في موريتانيا ونوميديا بل وامتدت من طرابلس شرقا وحتي موريتانيا غربا،(٢)وتصدي لها الإمبراطور **تيبريوس.**(٣)

بعد أن نظم **تكفاريناس** الثائر جيشه على نسق الجيش الروماني وقسمه إلي فرق مشاه وفرسان خفيفة تحت قيادة **مازيبا**، وتولي هو قيادة الفرسان المدربين، ووصد العلاقات مع قبائل **المزالمة والمور والكنتيين والجيتول** و طلب مساعدة ملك **الجرامنت** الذي وفر له الدعم المعنوي والعتاد العسكري من مشاة وفرسان لبدء الثورة والهجوم على الرومان.(٤)

ــ الانتفاضة الأولي عام ١٧م.

وفي عام ١٧م استهلها **تكفاريناس** بهجومه الأول على البروقنصل الروماني **فوريوس كاميليوس** قائد **الفرقة الثالثة الأغسطية** بالقرب من وادي **الميثول**، وجاءت أولي نتائج استعداد **تكفاريناس** ضد الرومان بهزيمة على يد البروقنصل الروماني على الرغم من بسالته في المعركة؛ وتوج القنصل **فوريوس كاميليوس**

(1) Tacite. : Annales, III, LXXIII.
(2) Tadeusz, K. et Michlak, M.: les Africains et la domination de Rome, vol. 2, 1976, Pp. 337 – 358.
(3) Marguerite, R.: Rome et les berbères, un problème militaire d' Auguste à Dioclétien, Bruxelles, 1970, P. 82 – 122.
(4) Guillaume, T. ; François, R. : Histoire universelle, Amsterdam, Tom 2, 1751, P. 413.

بوسام النصر ولكن على غير قناعة من الرومان بهذا النصر الذي جاء محض صدفة.

ولعل من أسباب هذه الهزيمة على الرغم من التحضير الجيد الذي قام به **تكفاريناس** قبل بداية الانتفاضة إلي ضيق وقت إعداد الجيش الذي لم يتمرس طويلا على إتقان الأسلوب الروماني في ساحة المعركة، والتحكم في تقنيات القتال للصمود أمام جيش الإمبراطورية الرومانية، تأهيل الجيش لهذه المعركة غير أن هذه المعركة هي أول معركة نظامية للقبائل الأفريقية أمام جيش نظام متمرس على المعارك ويتغذى عليها.(١)

ويبدوا أن ثورة **تكفاريناس** ليست ضد التواجد الروماني فحسب بل لتحقيق الحرية لبلاد المغرب من البربر المصنفين بموالاتهم للرومان مثل **يوبا الثاني** والذي زامن حكم **تيبريوس وكاليجولا وكلاوديوس ونيرون**، ومد يد العون والمساعدة للجيش الروماني(٢)، ولم يكن للوطن ولحرية شعبه ووطنه مكان لديه بل ذهب يفتخر بهذا النصر مثل الرومان ويخلد دكراه وصك عملة سنة ١٨م عليها ذكري انتصار الجيش الروماني على **تكفاريناس**.(٣)

اتسمت هذه الثورة بسمه جعلتها غير سابقاتها من الثورات في أهدافها واتساع رقعتها والقبائل المشتركة فيها فلم تقتصر على قبيلة واحدة أو إقليم، وإنما شملت خط أفقي جنوب المقاطعات الرومانية والتواجد الروماني في أفريقيا.(٤)

بعد هذه الهزيمة التي مني بها **تكفاريناس** وهي في مكنونها زلزال هز الجيش الروماني وزعزع أركانه وثقته بنفسه،(٥) فوجد الثائر أنه لابد من إعادة حساباته وتنظيم صفوفه وقواته والنظر في أسوبه القتالي الذي واجه به الجيش الروماني وظل

---

(١) محمد البشير الشنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج ١، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩، ص ٥٥.

(2) Cagnât, R.: l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Paris, 1892, P. 9.

(3) Mazard, J.: Corpus Nummorum Numidie Maurétanie que, Paris, 1955, P. 89.

(4) Benabou, M. : La résistance Africaine à la romanisation, op.cit., Pp. 75 – 76.

(5) Ibid. : P. 80.

في هذا البيات طوال ثلاث سنوات منذ عام ١٨م وحتي ٢٠م، يحاول الاستعداد وتنظيم الجيش وكسب التحالفات.(١)

إن انتصار الجيش الروماني لم يكن سوي صدمة **لتكفاريناس**؛ ولم يكن كما توقع الجيش الروماني بأنهم استأصلوا شأفته، وكان انتصار بشق الأنفس على الرومان وأحرزوه بالمساعدات الخارجية وبعض القبائل الأفريقية الموالية لهم، وتكبد فيه الجيش الروماني خسائر فادحة مادية ومعنوية.(٢)

ـ الانتفاضة الثانية ٢٠م.

أعاد تكفاريناس ترتيبات مواجهة الرومان وأدرك مدي خطأه في لجوئه للمعارك النظامية ضد الرومان، وعادت روح الأمل في طرد المحتل وأعاد جمع شتات جيشه وتوجه به إلي الصحراء للاختباء وبداية الهجمات المتفرقة على القري والأرياف الأسلوب الذي يسمي الكر والفر وعدم الاشتباك بشكل مباشر مع الجيش الروماني، وبالفعل جني ثمار هذا الأسلوب الجديد ضد الرومان وكان وتسع النطاق فشمل خليج سرت شرقا إلي الساحل الأطلنطي غربا.(٣)

واستطاع تشتيت سرية رومانية عام ٢٠م، والهجوم على أحد الفرق الرومانية المستقرة في قلعة قرب نهر **باجيدا**،(٤) وتمكن منهم وقتل قائدها **ديكريوس** وهزمهم شر هزيمة.(٥)

وقع أثر هذه الهزيمة على البروقنصل **أبرونيوس** كالصاعقة، فعلم أن المارد الموزيلامي قام من رقاده وعاد للمقاومة، فعجل البروقنصل بحملة بنفسه للتصدي **لتكفاريناس** ومسح أثار الهزيمة،(٦) فجمع فرقة مختارة بعناية شديدة مكونة من

---

(1) Cagnât, R.: Op. Cit., P. 15.

(٢) حارش محمد الهادي: ثورة تكفاريناس ١٧ – ٢٤م، مجلة الدراسات التاريخية، عدد ٩، ١٩٩٥، ص ص ١٢٩ – ١٣٣.

(3) Cagnât, R.: Op. Cit., P. 21.

(4) Tissot, CH.: Géographie comparée de la province d'Afrique, Paris, 1884, P. 54.

(5) Rachet, M.: Roman et les berbères (un problème militaire d'Auguste à Dioclétien), Bruxelles, 1970, P. 98.

(6) Cagnât, R.: Op. Cit., P. 15.

خمسة الآف جندي من قدماء الجند المدربين الخبراء في الطرق والدروب الأفريقية.(١)

أدرك البروقنصل **أبرونيوس** أنه لابد من تلاشي الأخطاء التي حدثت في الصدام مع **تكفاريناس**، ففرض عقوبات شديدة على الجنود الفارين من الصدام الأخير أمام **تكفاريناس** ليكونوا عبرة للجند الأخرين ولتجنب حوث مثل هذه الأمور في المعارك القادمة.(٢)

وطلب المدد من **الفرقة التاسعة الإسبانية**، التي وصلت إلي أفريقيا فور طلب العون منها **والفرقة العاشرة فريتينيس** لتدعيم الجيش الروماني، الأمر الذي يدل على خطورة الوضع وصعوبة تصدي الجيش الروماني لهجمات الثوار النوميدين؛ ومدي الخبرة العسكرية التي اكتسبها ومهارة المواجهة في المناطق شبه الصحراوية.(٣)

تمكن **تكفاريناس** من بسط نفوذه على مناطق ومراكز عسكرية عديدة في شمال وشرق الأوراس عدا **حصن تالة**(٤) الذي حاول السيطرة عليه عام ٢٠م،(٥) وعند قيامه بمحاولة السيطرة عليه وقع مرة أخري في نفس الخطأ الذي ألحق به الهزيمة الأولي وهو المواجهة المنظمة للجيش الروماني، فقاوم البروقنصل **أبرونيوس كايزانيوس** بفرقة رومانية قوامها ٥٠٠ جندي وأوقع هزيمة ثانية **تكفاريناس**، مما دفع الإمبراطور بإرسال التهاني له، وعاد تكفاريناس لحرب العصابات والكر والفر الشيء الذي يبدع فيه.(٦)

---

(١) محمد الصغير غانم: بعض ملامح ثورات التحرر ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تكفاريناس نموذجا)، حولية المؤرخ، العدد١، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ٢٠.

(2) Boissière, G.: Esquisse d'une Histoire et de l'administration Romaine dans le nord de l'Afrique, Librairie Hachette, Paris, 1878, P. 233.

(3)Benabou, M.: La résistance Africaine à la romanisation, op.cit., P. 79.

(٤) **حصن تالة:** هو أحد حصون الرومان المشهورين بقوته ومناعته، وأقامه الرومان لمراقبة التحركات التجارية لقبائل الموزيلامي المتواجدة في المناطق الشرقية في الأوراس؛ ويقع قرب **حيدرة**، وكان يقيم ويشرف على نظام الأمن فيه الجنود الرومان القدامى. انظر

Piganiol, A. et Laurent, V. R. : Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), vol.32, 1912, Pp. 69 – 229.

(5) Gsell, s.: H. A .A.N., T. Viii, P. 230.

(6) Tacite. : Annales, III, XXI.

بعد هزيمة **حصن تاله** تراجع **تكفاريناس** إلي السواحل الجنوبية، فما كان من البروقنصل **أبرونيوس** من مباغتة تكفاريناس وفاجأه على رأس فرقة من الفرسان من الجنود المحاربين القدامى واستطاع إلحاق هزيمة ثانية على التوالي بتكفاريناس الذي أرغم على التراجع حتي الصحراء المتاخمة لجنوب الأوراس.(١)

علي الرغم من هاتين الهزيمتين المتتاليتين **لتكفاريناس** إلا أنه ما زالت عزيمته على مواصلة الانتفاضة قوية ولم ييأس من استئناف الإغارة من حين لأخر علي القوات الرومانية كلما توافرت الظروف.(٢)

وهذا أيضا ما خطي عليه **مازيبا** تجاه القوات الرومانية في موريتانيا، وكبد الرومان الخسائر الفادحة سواء العسكرية في صفوف الجنود أو الاقتصادية في تعطيل العمل لانعدام الأمن.(٣)

انتهج **تكفاريناس** سياسة الرومان ــ فرق تسد ــ في فتح جبهة واسعة المجال للضغط على الرومان للقتال في جبهة واسعة، اضطر الرومان لتقسيم قواتهم لمواجهة تكفاريناس، الأمر الذي سهل على الثوار إلحاق الخسائر في الجيش الروماني، وقادت هذه الانتصارات **تكفاريناس** إلي إيفاد مبعوثين إلي الإمبراطور **تيبريوس** للمطالبة بإعادة الأراضي الأفريقية التي اغتصبها الرومان من أصحابها، وهذا الطريق الذي أضر بالمزالمة أكبر الضرر بل وزادت وتيرة الطلب إلي تهديده بإعلان الحرب عليه.(٤)

بنظرة متأنية في هذه البعثة نستنتج مدي القوة التي بلغ إياها **تكفاريناس** والثقة بالنفس التي جعلته يصل إلي التفاوض مع الإمبراطور بنفسه ويملي عليه طلباته التي هي نفس أهداف الثورة بتعليق إنهاء القتال علي إعادة الأراضي.

---

(1) Gaid, M. : Les Berbères dans l'Histoire de la Préhistoire à la Kahina, Tom.1, Alger, 1990, P.124.

(2) Benabou, M.: La résistance Africaine à la romanisation, op.cit., P. 80.

(٣) محمد البشير الشنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني،ج١، المرجع السابق، ص ٥٧.

(4) Tacitus: Annales, III, LXXIII.

ولكن إن خطر يوما ببال **تكفاريناس** أن **الإمبراطور تيبريوس** سوف يرضخ لطلباته فهو إذا لم يعرف الرومان جيداً، لأنه ما كان من الغطرسة الرومانية المتعجرفة من الظهور بوحشية في وجه طلبات **تكفاريناس.**(١)

ـ ردة فعل الرومان تجاه تكفاريناس.

من الواضح أن الإمبراطور **تيبريوس** ومجلس الشيوخ كانوا يأملون في تقديم **تكفاريناس** الاعتذار وطلب الغفران على أفعاله ضد الرومان بعد تلك الهزيمتين، ولكن هذا المبعوث الموزيلامي وقع على الإمبراطور **تيبريوس** وقع الصاعقة ولم يخطر بباله أن هذا الثائر يتكبر على أسياده،(٢) فلم يجد بدا بعد أن فاق من الصدمة إلا معاقبة وتأديب **تكفاريناس.**(٣)

إن مثل هذه التهديدات من الجبهة الموزيلامية تعد إيمانا قويا بقضيتهم وتمسك أكبر بمطالبهم وبث العزيمة والإرادة على محاربة الرومان، أما على الجبهة الرومانية قد أحبط معنوياتهم وزعزعة عقيدتهم في البقاء في أفريقيا واستثارة غضب الإمبراطور وأدرك أن مكانة جيشه قد تراجعت وهناك تهديد حقيقي عليه من الموزيلامي **تكفاريناس.**

ولكن **تيبريوس** أدرك مدي ذكاء تكفاريناس ورفض التفاوض ولجأ لاستخدام القوة فبدأت أولي تدابيره بتعيين البروقنصل **يونيوس بلايزوس ٢٠م**، وأمره بالقضاء على هذا المتفائل المتعجرف الثائر، وبدأ بملاحقته بوحدات خفيفة وأمر بإنشاء القلاع والحصون وإنشاء وحدة مدربة على حرب العصابات، ولكنه مثل أسلافه باء بالفشل ولم يستطيع إلقاء القبض عليه، ولكنه تمكن من القبض على أحد أخوة تكفاريناس ومات من أثر التعذيب الذي وقع عليه من قبل أفراد الجيش الروماني للضغط عليه للوشاية بأخيه تكفاريناس.(٤)

وقام البروقنصل يونيوس بلايزوس بنهج سياسة جديدة ضد **تكفاريناس** وهي سياسة الترغيب والترهيب، حيث أنه رغب كل أفريقي في العفو عنه إذا تخلي عن

---

(1) Chehrit, K.: Tacfarinas, Grand Alger Livres, Alger, 2006, P. 77.
(2) Chehrit, K.: Op. Cit., P. 77.
(3) Cagnât, R.: Op. Cit., Pp. 19 – 20.
(٤) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص ص ٢١ – ٢٢.

سلاحه وساعد الرومان ووعدهم بمكافأة مغرية، ورهب في أنه سوف يقتل كل أفريقي محارب للرومان ومتابعة أسرته وأولاده بالقتل.(١)

ومن الجدير بالذكر ما قام به البروقنصل **يونيوس بلايزوس** من الإجراءات العسكرية في اعادة ترتيب فرقه واختيار المواقع الاستراتيجية لها، وقسم جيشه إلي **ثلاث وحدات** أساسية سريعة الحركة، فكانت **الوحدة الأولي** تحت قيادة **كورنيليوس سيبيون قائد الفرقة التاسعة الإسبانية** والتي تولت مهمة قطع الاتصال والدعم القادم من قبائل **الجرامنت** إلي الموزيلامي، وحماية مدينة **لبدة** وخليج **سرت، والوحدة الثانية** تولت مسئولية الدفاع عن **سيرتا** وضواحيها، **والوحدة الثالثة** أوكلت إليها مهمة الدفاع عن مدينة **تبسة وأمايدرا**، فضلا عن تنفيذ تكتيك عسكري يقوم على تجزئة الوحدات الثلاثة إلي وحدات صغيرة مقسمة إلي مائة جندي الأمر الذي استطاع به تحقيق بعض الانتصارات في عامي ٢٢ – ٢٣ م.(٢)

ويبدوا أن كل هذه الجهود المبذولة من الرومان لم تحقق منيتها في القضاء على **تكفاريناس** بل كان هو الذي يباغت الحصون والقلاع بغارات مفاجئة، وزادت الأمور تعقيدا لدي الرومان بموت الملك **يوبا الثاني** عام ٢٣م وهو حليف الرومان وداعمهم في أفريقيا، غير أن خلفه ابنه **بطليموس** لم يستطع مضاهاة والده في الشخصية والكفاءة والإدارة لشئون المملكة.(٣)

وجاءت الرياح بما يشتهي **تكفاريناس**؛ في قرار الإمبراطور **تيبريوس** بسحب الفرقة التاسعة الإسبانية من أفريقيا وعودتها إلي إسبانيا، فستخدم تكفاريناس تدرج الأحداث لصالحه ورفع معنويا جيشه وروج لهذا الانسحاب ترويج إعلامي كبير فأظهر لجيشه أن هذا الانسحاب ما هو إلا هروب للرومان من أمامه، وليس لدي الرومان ما تقوي عليه لمتابعة الحرب معه، وهذا بمثابة حرية أفريقيا من العبودية، فستغل **تكفاريناس** هذا الأمر واستمر بحشد الحلفاء وتوطيد مركزه حتي شعر

(1) Rachet, M.: Op. Cit., Pp. 106 – 108.
(2) Gsell, s.: H. A .A.N., T. VIII, Pp. 229 - 230.
(3) Cagnât, R.: Op. Cit., P. 20.

بالأمان، وتمكن من الاستيلاء على قلعة بالقرب من **لمبيزي**، وكان إشعار الثائر بالأمان خطة دبرها **تيبريوس** للقضاء عليه.(١)

ورد الرومان علي هذه التصرفات مثل سابقيها وقاموا بتغير البروقنصل للمرة الثالثة وكانت من نصيب **كورنيليوس دولابيلا** عام ٢٣م، الذي خالف خطي سابقيه وعزم على اتباع أسلوب النوميدين بحرب العصابات بالتوازي مع تدعيم الحصون والمدن والقلاع، وسرعان ما أوقع هزيمة **بتكفاريناس** وأرغمه على الانسحاب إلي منطقة سلسلة جبال **البيبان**.(٢)

وقام **تكفاريناس** بالرد على هذه الهزيمة بمحاصرة لمدينة **تكلات** التي عرفت باسم **توبوسوكتو** الواقعة على بعد ١٥ كم جنوب غرب **صلداي**، وهي مدينة ذات حصون منيعة لم يستطع **تكفاريناس** اقتحامها ومنحت البروقنصل **دولابيلا** الوقت الكافي لنجدتها.(٣)

تطور دور المقاومة وأصبح في الطور الأخير، وتأتي الأحداث التالية لتفصح عن المرحلة الأخيرة والنهائية لهذا الثائر وانتفاضته.

ـ نهاية الانتفاضة.

عندما يأس الرومان من القضاء على الثائر **تكفاريناس** بالطرق المستقيمة في ميدان المعركة والذي لم يتعدى نتائجها إلا هزائم سطحية **لتكفاريناس**، لجاء البروقنصل دولابيلا إلي سلك الطرق الرخيصة بإيجاد الدسائس وافتعال المؤامرات وتوظيف الجواسيس والخونة، واستمالة من لهم أهواء وميول رومانية مثل **بطليموس بن يوبا الثاني**.(٤)

(1) Tacitus: Annales, IV, XXIV.
(2) Hamdoune, CH.: les Auxillia – Externa – Africains des Armées Romaines, France, 1999, Pp. 112 – 113.
(3) Cagnat, R.: Op. Cit., P. 21.
(4) Gaid, M.: Op. Cit., P.125.

بعد فشل **تكفاريناس** في اقتحام مدينة **توبوسوكتو** وتمكن **دولابيلا** من نجدتها وفك حصارها وهزيمة **تكفاريناس** وملاحقته حتي **أوزايا** التي عسكر فيها **تكفاريناس** حيث جرح جرحا قاتلا.(١)

وقبل تحديد موعد المعركة النهائية كان أمام **دولابيلا** مجموعة من الاجراءات الاستباقية للمعركة فبدأ بتقسيم جيشه إلي أربعة وحدات قليلة العدد، منها وحدة مشكلة من المرتزقة الذي أمدهم بطليموس للرومان، وكان لهم نصيب الأسد في القضاء على تكفاريناس، وقام ببث الزعر في صفوف القبائل المساندة لتكفاريناس بقطع رأس زعيم كل قبيلة مر عليها في طريقه إلي **تكفاريناس.**(٢)

ويبدوا أن **دولابيلا** حظي بشرف القضاء على الثائر **تكفاريناس** عام ٢٤م، مخدمه عنصر المفاجأة الذي استخدمه في الهجوم، ودعمه ظلام الليل وكانت خيول المقاومين مربوطة وهم غير جاهزين للقتال، وظهر ضعف الرومان في كثرة قتلهم للثوار، ولم يكن هناك أسهل من هذا الانتصار ليحظى به الرومان، بل وتمكنوا من قتل الثائر **تكفاريناس** الذي أحب الموت عن وقوعه في أسر الرومان والموت من أجل قضيته التي عاش يحلم بكسبها من الحياة تحت ذل وسيطرة الرومان.(٣)

ولا يسعنا أن نقول ما قام به الإمبراطور **تيبريوس** من منح **بطليموس بن يوبا** عصا من العاج ومعطفا فضفاضا مطرزا جزاء له على مساعدته للرومان للتغلب على **تكفاريناس،** وما سعي إليه ملك **الجرامنت** إلي طلب الصداقة من **تيبريوس** خوفا من أنزال عقوبته عليه لمساعدته **لتكفاريناس.**(٤)

وبهذا تكون قد طوت صفحة أحد الثوار الأبطال الرافضين لذل الاحتلال والمناهضين لنيل الاستقلال والمحبين للحرية والعيش بشرف وكرامة وطويت معه تلك الانتفاضة التي استمرت حوالي ٧ سنوات أرهق أثنائها الرومان.

---

(١) محفوظ قداش : الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٣، ص ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(2) Messikn, M. S.: L'histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique Rusikade, Algérie, 1996, Pp. 32 – 33.

(3) Tacite. : Annales, IV, XXV.

(2) Hamdoune, CH.: Op. Cit., P. 113.

ـ نتائج فشل الانتفاضة.

توسع الرومان في السطو على أراضي الثوار وإلحاقها بالسيادة الرومانية وتدعيم أواصرهم، تأسيس مجموعة من المعسكرات للجنود المسرحين وتسهيل طرق التواصل معهم.

مد الرومان أيديهم في الصحراء وبسطوا سيطرتهم على أجزاء منها لأنهم وجدوا أنه من الحري بهم الاستيلاء على الصحراء لأهميتها الاستراتيجية في مقاومة الثوار وتمهيدا لاستقرار المنطقة، حيث أن الصحراء الواقعة جنوب الأوراس كانت ملاذا أمنا لأتباع **تكفاريناس.**

وجدت قبائل **الموزيلامي والجرامنت** أنها بالقوة التي شكلت تهديدا حقيقيا للتواجد الروماني في أفريقيا، ومما يؤكد مدي صدق إيمانها بدحر الرومان وتحديد مصيرها، والسبع سنوات تلك التي هي عمر الانتفاضة كانت قاسية على الرومان وتكبدوا خسائر فادحة وأجبرت الرومان على مجموعة من الاجراءات السياسية مثل تغيير البروقنصل عدة مرات.

نمو الانتفاضة السريع وسريانها في الشرق جنوب الولاية **البروقنصلية؛** وفي الغرب جنوب مملكة **موريتانيا،** وما شكلته من تهديد حقيقي للتواجد الروماني الذي تحتم على الرومان اعادة رسم حدود ولاياتها وسياستها الاستعمارية، ودمج القبائل الرحل وتوطينهم في المدن الرومانية.

أستفاد الرومان من هذا الدرس وعدم صلاحية الحكام المختارين من السناتو لكى يكونوا قوادا ناجحين، ودليلا علي هذا ما قام به الإمبراطور **كاليجولا** من إسناد القيادة العسكرية إلي مندوب يعينه الإمبراطور رأسا ويتمتع بكل السلطات الإدارية والعسكرية.

وبهذا تكون روما ارسال حملات متتابع لقادة عسكريين لبلاد المغرب الواحد بعد الآخر للقضاء على تكفاريناس وهم:

١-حملة البروقنصل فوريوس كاميليوس ١٧م.

٢-حملة أبرونيوس ٢٠م.

٣-حملة يونيوس بلايزوس ٢٠م.

٤-حملة دولابيلا ٢٣- ٢٤م.[١]

غير الإمبراطور **تيبريوس** سياسته وعلاقته بأفريقيا بعد القضاء على الثائر **تكفاريناس**، لتكبده خسائر كبيرة في الأموال والأرواح، فتم الاستقرار على ضرورة وجود قوة من الجيش الروماني مستقرة بأفريقيا لكي تأمن روما شر مثل أولئك الثوار المنادين بالاستقلال مرة أخري، فجاءت **الفرقة الأغسطية الثالثة**، من القسم الشرقي (**أفريقيا القديمة**) إلي القسم الغربي **(أفريقيا الجديدة) مملكة نوميديا**.[٢]

فقد أرسل الجرميون وفدا إلى روما مع القائد الروماني **دولابيلا** للاعتذار للإمبراطور **تيبريوس، و** طلب الصفح منه عن دورهم في دعم ثورة تكفاريناس وتقديمهم المساعدة له، وقد رحبت روما بالوفد الجرمي، وكان ذلك من المشاهد النادرة في روما واقنع الوفد الجرمي روما بزوال كل ما يدعو إلى التخوف من الجرميين، كما أن هذه المبادرة أراحت روما من شن حملة جديدة علي فزان و شعب قوي أحاط نفسه بمزيد من الحماية ووسائل الدفاع الصحراوية، كما أنه ليس من مصلحة روما استثارة قبائل المنطقة الداعمة لبعضها البعض، وكذلك خشية روما من إقدام الجرميين على أعمال انتقامية ضدهم كل تلك الأمور مجتمعة ساعدت على نجاح الوفد الجرمي في روما.[٣]

---

(١) محمد فوكه: مناطق سيل الشمف في ظل الاحتلال الروماني، مجلة عصور الجديدة، العدد ١١ – ١٢، وهران، الجزائر، فبراير ٢٠١٤، ص ١٥.

(٢) عمار محجوبي: العصر الروماني وما بعدده في شمال أفريقيا، موسوعة تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٥، ص ٤٨٠.

(3) Tacitus: Annals, V, 26.

أولًا: المصادر الأجنبية:

Tacitus: Annales, III, IV, V.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Benabou, M. : La résistance Africaine à la romanisation, éd. Maspero, Paris, 1975.

Benabou, M.: Tacfarinas, insurgé Berbère contre la contre la colonisation romaine, Paris, 1977.

Boissière, G.: Esquisse d'une Histoire et de l'administration Romaine dans le nord de l'Afrique, Librairie Hachette, Paris, 1878.

Cagnât, R.: l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Paris, 1892.

Chehrit, K.: Tacfarinas, Grand Alger Livres, Alger, 2006.

Desages, J. : le triomphe de Cornelius Balbus, Paris, 1957.

Fredouille, J. C.: Dictionnaire de la civilisation romaine, Paris, 1999.

Gaid, M. : Les Berbères dans l'Histoire de la Préhistoire à la Kahina, Tom.1, Alger, 1990.

Gsell, s.: inscriptions Latines de l' Algérie, inscriptions de la Proconsulaire, Paris, 1922.

Guillaume, T. ; François, R. : Histoire universelle, Amsterdam, Tom 2, 1751.

Hamdoune, CH.: les Auxilié – Externa – Africains des Armées Romaines, France, 1999.

Marguerite, R.: Rome et les berbères, un problème militaire d' Auguste à Dioclétien, Bruxelles, 1970.

Mazard, J.: Corpus Nummorum Numidie Maurétanie que, Paris, 1955.

Mercier, E.: Histoire de l'Afrique septentrionale (berbère) depuis les temps les plus reculés Jusqu'à la conquête Française, 1830, vol. 3, Paris.

Messikn, M. S.: L'histoire ancienne et contemporaine de Skikda l'antique Rusikade, Algérie, 1996.

Piganiol, A. et Laurent, V. R. : Recherches Archéologiques à Ammaedara (Haidra), vol.32, 1912, Pp. 69 – 229.

Rachet, M.: Roman et les berbères (un problème militaire d'Auguste à Dioclétien), Bruxelles, 1970, P. 98.

Tadeusz, K. et Michlak, M.: les Africains et la domination de Rome, vol. 2, 1976, Pp. 337 – 358.

Tissot, CH.: Géographie comparée de la province d'Afrique, Paris, 1884, P. 54.

ثالثًا: المراجع العربية:

حارش محمد الهادي: ثورة تكفاريناس ١٧ – ٢٤م، مجلة الدراسات التاريخية، عدد ٩، ١٩٩٥.
عمار محجوبي: العصر الروماني وما بعده في شمال أفريقيا، موسوعة تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٥.
محفوظ قداش : الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: عباد صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٣.
محمد البشير الشنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج ١، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩.
محمد الصغير غانم: بعض ملامح ثورات التحرر ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول الميلادي (ثورة تكفاريناس نموذجا)، حولية المؤرخ، العدد١، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، ٢٠٠٢.
محمد فوكه: مناطق سيل الشمف في ظل الاحتلال الروماني، مجلة عصور الجديدة، العدد ١١ – ١٢، وهران، الجزائر، فبراير ٢٠١٤.
أرنست ماسون: الإمبراطور الرهيب تيبريوس، ترجمة: جمال السيد، القاهرة، ١٩٨٥.
محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٣، ص ٢٦.